الآيتان ٢٥٨

قصة النمروذ الملك

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَآجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥٨﴾﴾ .

أسباب النزول والمناسبة

المناسبة: لمّا ذكر الله تعالى فيما سبق أنّ الله وليّ الذين آمنوا، وأنّ الطّاغوت وليّ الكافرين، أعقبه بذكر نموذج للإيمان ونموذج للطّغيان، ليبيّن تلك القضيّة ويشهد على صدقها وصحّتها، وهو أنّ إبراهيم وفّقه الله للأدلّة التي تدحض الشّبهات، وأنّ الملك عمي عن نور الحقّ، فكانت حججه متهافتة ساقطة، تتردّد في ظلمات الشّكوك والأوهام، فصارت هذه القصّة مثلًا للمؤمن والكافر اللذيْن تقدّم ذكرهما.

المعنى العام

يقول الحق ﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ يا محمّد ببصيرتك إلى جهالة ﴿الَّذِي حَآجَّ إِبْرَاهِيمَ﴾ وهو ملك بابل: نمرود بن كنعان، جادل إبراهيم عليه السلام وخاصمه ﴿فِي رَبِّهِ﴾ بوجود ربّه، ذلك أنّه أنكر أن يكون إله غيره، كما قال من بعده- فرعون- لملّته ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾[1]، وما حمله على هذا البطر والطّغيان والكفر الغليظ والمعاندة الشّديدة، ﴿أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ﴾ إلا تجبّره وطول مدّته في المُلك الذي وهبه الله إيّاه. وعن تفاصيل المناظرة، ذكر المفسرون أنّه لما حطّم إبراهيم عليه السلام الأصنام، في يوم عيد يخرجون إليه في كلّ سنّة، سجنه النُّمرود أيامًا، ثمّ أمر بإحراقه في نار عظيمة، حتّى إنّ الطّائر ليمرُّ بها فيحترق من شدّة حرّها، فنجّاه الله منها. فدعاه النُّمرود إلى المحاجّة، وسأله: من ربّك الذي تعبد؟ ثمّ طلب دليلًا على وجود الرّبّ الذي يدعو إليه، فقال إبراهيم عليه السلام: ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ أي ربّي هو الذي يخلق الأرواح في الأجسام، ويخرجها عند انقضاء آجالها، فالدّليل على وجوده حدوث هذه الأشياء المشاهَدة بعد عدمها، وعدمها بعد وجودها، وهذا دليل على وجود الفاعل المختار ضرورة، لأنّها لم تحدث بنفسها، فلا بدّ لها من موجد أوجدها وهو الرّبّ الذي أدعو إلى عبادته وحده لا شريك له، فعند ذلك ﴿قَالَ﴾ المحاجّ وهو النّمرود: ﴿أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ﴾، فأدعو برجلين قد استحقّا القتل، فآمر بقتل أحدهما فيُقتل، متصوّرًا أنّه سالب روحه، وآمر بالعفو عن الآخر فلا يقتل، فذلك معنى الإحياء والإماتة بظنّه، متجاهلًا أنّ الرّوح بأمر الله. والظّاهر إنّما أراد أن يَدّعي لنفسه هذا المقام عنادًا ومكابرة، ويوهم أنّه فاعل لذلك، وأنّه هو الذي يحيي ويميت، فلمّا رأى إبراهيم عليه السلام غلطه وتشغيبه عدل له إلى حجّة أخرى، لا مقدور للبشر على الإتيان بمثلها، ﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ﴾ فإن كنت تدّعي الرّبوبيّة ومن شأن الرّبوبيّة أن تقدر على كلّ شيء، فلا يعجزها شيء ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ﴾ فالذي يحيي ويميت هو الذي يتصرّف في الوجود، في خلق ذرّاته وتسخير كواكبه وحركاته، فهذه الشّمس تشرق في كلّ يوم من المشرق، فإن كنت إلهًا كما تدّعي ﴿فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ﴾ فلمّا علم عجزه وانقطاعه، وأنّه لا يقدر على المكابرة في

(١) سورة القصص، الآية: ٣٨.

هـذا المقـام، ﴿فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾ أي انقطع وبطلت حجته، فغُلب وصار مبهوتًا، ﴿وَاللهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ إلى قبول الهدايـة، أو إلى طريـق النّجـاة، فـلا يلهمهـم حجـة ولا برهانًا، بل حجتهـم داحضة عند ربّهم، وعليهم غضب ولهم عذاب شـديد.

عَنْ مُجَاهِدٍ، قَالَ: "فِي قوله ﷺ: ﴿أَنَا أُحْيِـي وَأُمِيتُ﴾: أَقْتُلُ مَنْ شِئْتُ وَأَسْتَحْيِي مَنْ شِئْتَ، أَدَعُهُ حَيًّا فَلَا أَقْتُلُهُ"، وَقَالَ: "مَلَكَ الْأَرْضَ مَشْرِقَهَا وَمَغْرِبَهَا أَرْبَعَـةُ نَفَـرٍ مُؤْمِنَانِ وَكَافِرَانِ، فَالْمُؤْمِنَانِ: سُـلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ، وَذُو الْقَرْنَـيْنِ، وَالْكَافِرَانِ: بُخْتَنَصَّرُ وَنُمْـرُودُ بْنُ كَنْعَـانَ، لَمْ يَمْلِكْهَا غَيْرُهُمْ"[١]

وعـن مُجَاهِـدٍ أيضًـا، قال: مَلَـكَ الْأَرْضَ مُؤْمِنَانِ وَكَافِرَانِ فَالْمُؤْمِنَانِ سُـلَيْمَانُ وَذُو الْقَرْنَيْنِ. وَالْكَافِرَانِ بختنصر ونمرود وَسَـيَمْلِكُهَا خَامِسٌ مِـنْ هَـذِهِ الْأُمَّـةِ"[٢]. وهو أوّل من وضع التّاج على رأسه[٣].

ويعـد «النمـرود» أول جبّـار في الأرض، وكان حـاكم بابـل بالعـراق، ولـد ٢٠٥٣ قبل الميـلاد، وهو شخصيّة تاريخيّـة ذكرت لأوّل مـرّة في التّـوراة بالإسم كملـك جبّـار تحـدّى الله، واسمـه النّمرود بن كنعـان بن كوش بن سـام بن نوح.

وتجبّر في الأرض وادّعى الرّبوبيّة، واستمرّ في ملكه أربعمائة سنة، وكان قد طغا وتجبّر وعتا وآثر الحياة الدّنيا[٤].

وبعـد المناظـرة، بَعَـثَ اللهُ إِلَى الْجَبَّـارِ- النّمـرود- مَلَـكًا أَنْ آمِـنْ بِي وَأَتْرُكْكَ عَـلَى مُلْـكِكَ قَـالَ: وَهَلْ رَبٌّ غَـيْرِي؟ فَجَـاءَهُ الثَّانِيَةَ، فَقَـالَ لَهُ ذَلِـكَ، فَـأَبَى عَلَيْـهِ، ثمّ أَتَاهُ الثَّالِثَـةَ فَـأَبَى عَلَيْـهِ، فَقَـالَ لَهُ الْمَلَكُ: اجْمَـعْ جُمُوعَكَ إِلَى ثَلَاثَـةِ أَيَّامٍ، فَجَمَعَ الْجَبَّـارُ جُمُوعَهُ، فَأَمَرَ اللهُ الْمَلَـكَ، فَفَتَـحَ عَلَيْـهِ بَابًا مِـنَ الْبَعُوضِ، فَطَلَعَتِ الشَّـمْسُ، فَلَمْ يَرَوْهَا مِـنْ كَثْرَتِهَا، فَبَعَثَهَا اللهُ عَلَيْهِمْ فَأَكَلَتْ لُحُومَهُـمْ، وَشَرِبَتْ دِمَـاءَهُمْ، فَلَمْ يَبْـقَ إِلَّا الْعِظَامُ، وَالْمَلِـكُ كَمَـا هُوَ لَمْ يُصِبْهُ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ. فَبَعَثَ اللهُ عَلَيْهِ بَعُوضَـةً، فَدَخَلَتْ فِي مَنْخَرِهِ، فَمَكَثَ أَرْبَعَمِائَـةِ سَـنَةٍ يُـضْرَبُ رَأْسُـهُ بِالْمَطَـارِقِ، وَأَرْحَمُ النَّـاسِ بِهِ مَنْ جَمَعَ يَدَيْهِ وَضَرَبَ بِهِمَا رَأْسَـهُ، وَكَانَ جَبَّـارًا أَرْبَعَ مِائَةِ عَامٍ، فَعَذَّبَهُ اللهُ أَرْبَعَمِائَةِ سَـنَةٍ كَمُلْكِهِ، ثمّ أَمَاتَهُ اللهُ"[٥].

(١) ذكره الطبري في تفسيره، عن مجاهد، باب: تأويل قوله تعالى: ﴿إِذ قَالَ إِبرَاهِيمُ﴾، ج٤، ص٥٧١.
(٢) ذكره ابن تيمية في مجموع الفتاوى، عن مجاهد، باب: في الملك في شرع من قبلنا، ج٣٥، ص٣٥.
(٣) ذكره الثعلبي في تفسيره، ج٧، ص١٣٧.
(٤) ذكره ابن كثير في البداية والنهاية، باب: ذكر مناظرة إبراهيم الخليل، ج١، ص١٤٨.
(٥) ذكره الطبري في تفسيره، عن زيد بن أسلم، باب: تأويل قوله تعالى: ﴿إِذ قَالَ إِبرَاهِيمُ﴾، ج٤، ص٥٧٢.

لطائف الإشارات للسّلوك والتّزكية في الآيات

ما يستخلص من الآيات

في العقيدة

من هدي الآية:

١.النّعم تبطر صاحبها وقد تكون سببًا للطّغيان إذا لم يشكر الله عليها ويتّق الله فيها.

٢.من دخل في أمر بالله ولله، نصره الله وألهمه الحجّة وألجم وأبهت خصمه.

٣.إذا ظلم العبد ووالى الظّلم حتّى أصبح وصفًا له، ختم الله تعالى على قلبه فلا يهتدي أبدًا ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[1].

٤.الدّجال وإبليس من هذا الصّنف، فالله تعالى قد يختم على قلوب الكثير من الإنس والجنّ في كلّ زمان.

٥.جواز المجادلة والمناظرة في إثبات العقيدة الصّحيحة السّليمة.

٦.تحدّى إبراهيم النّمرود في أمرين اثنين، ذكرهما تعالى في القرآن الكريم: طلوع الشّمس من مغربها وإحياء الموتى. والآيات ذكرت قصّة إحياء العزير بعد موته مائة عام.

٧.عَجّل الحقّ سبحانه لأعدائه عقوبة الفرقة قبل أن يعاقبهم بالحرقة، وهذه العقوبة أشدّ أثرًا في التّحقيق لو كانت لهم عين البصيرة.

من أسماء الله الحسنى: المُحيي - المميت

شرح الاسماء: المُحيي - المميت

قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾[2].

المُحيي خالق الحياة. **والمميت** خالق الممات.

التعلق باسمي الله المُحيي، المميت:

الالتجاء إليه في إحياء قلبك وروحك بمعرفته، وفي إماتة نفسك وهواك، وجميع شهواتك.

في الأمر والنّهي

العمل بالآية:

- استخرج ثلاثة آداب للحوار والمناظرة من قصّة إبراهيم عليه السلام، ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ﴾.
- قل: «اللَّهُمَّ يا معلّم إبراهيم علّمني، ويا مفهّم سليمان فهّمني، يا من آتيت ابراهيم الحجّة على قومه آتني الحجّة، واجعل ذلك لخيري وخير السّامعين والحاضرين»، ﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.

(١) سورة البقرة، الآية: ٦. (٢) سورة غافر، الآية: ٦٨.

في الأخلاق والآداب

السّلامةُ مِن المِراءِ والجِدالِ وحبُّ الإنجازِ والعمل (سبق ذكرها)

التخلق باسمي الله تعالى المُحيي - المميت:

- بإحياء عوالمك بالطّاعات، وإماتتها من الحظوظ والشّهوات.
- يكون بأن تميتَ على الفورِ مِن فكرِكَ وَساوِسَ الشّيطانِ مِن سوءِ الظّنِّ باللهِ وبالنّاس ولا تُفكّرَ بها مُطلقًا.

التوجيهات:

- من أعظم نِعَم الله على أوليائه أنّهم يرون بنور الله، ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾.
- النّعم الدنيويّة إذا لم يصاحبها إيمان بالله فهي وبال على صاحبها، وزيادة في سيئاته، ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ أَنۡ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ إِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُ﴾.

في السّيرة والشّمائل

لله رجال لو أقسموا على الله لأبرهم:

هذا حال أهل الجنة إذا أراد الواحد منه شيئًا كان، فيعطون بأمر الله سر كلمة "**كن**". كما أعطيها رسول الله ﷺ في الدنيا، ويعطاها أهل التصريف من أولياء الله في بعض الحالات.

وكذلك في الحديث القدسي: «وَلَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ؛ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ»[1].

- رجعَ أبو خيثمةَ إلى أهلِه في يومٍ حارٍ؛ بعد ما سارَ رسولُ الله ﷺ أيامًا في مسيرِه إلى غزوةِ تبوك، فوجدَ امرأتينِ لهُ في عريشين لهما في حائطِه، قد رشَّتْ كلُّ واحدةٍ منهمَا عريشَها، وبرَّدَتْ فيه ماءً، وهيَّأتْ له فيه طعامًا، فلما دخلَ قامَ على بابِ العريشِ، فنظرَ إلى امرأتيه وما صنعتا لهُ؛ فقالَ أبو خيثمةَ: رسولُ الله ﷺ في الضَّحِّ والريحِ والحَرِّ!، وأبو خيثمةَ في ظلٍّ باردٍ وطعامٍ مهيَّأٍ، وامرأةٍ حسناءَ في مالِه مقيمٍ؟ ما هذا بالنَّصَفِ! والله لا أدخلُ عريشَ واحدةٍ منكما، حتى ألحقَ برسولِ الله ﷺ فهيِّئا زادًا؛ ففعلتا، ثمّ قدَّمَ ناضحَه فارتحلَه، ثمّ خرجَ في طلبِ رسولِ الله ﷺ حتى أدركَهُ حينَ نزلَ تبوك حتى إذا دَنَا مِنْ رسولِ الله ﷺ؛ قالَ الناسُ: هذا راكبٌ على الطريقِ مقبلٌ، فقالَ رسولُ الله ﷺ: «كُنْ أَبَا خَيْثَمَةَ» فقالوا: يا رسولَ الله هو والله أبو خيثمة، فلمَّا بلغَ، أقبلَ فسلَّمَ على رسولِ الله ﷺ، فقالَ لهُ: «أَوْلَى لَكَ يَا أَبَا خَيْثَمَةَ»، ثم أخبرَ رسولَ الله ﷺ الخبرَ؛ فقالَ: خيرًا ودعا له بخيرٍ.
- تخلَّفَ أبو ذرٍّ وأبطأ به بعيرُه، وقالَ رسولُ الله ﷺ: «دَعُوهُ، إِنْ يَكُ فِيهِ خَيْرٌ فَسَيُلْحِقُهُ اللَّهُ بِكُمْ، وَإِنْ يَكُ غَيْرَ ذَلِكَ فَقَدْ أَرَاحَكُمُ اللَّهُ مِنْهُ»، فتلوَّم أبو ذرٍّ على بعيرِه فلمَّا أبطأ عليه أخذَ متاعَه فجعَلَهُ على ظهرِه ثمّ خرجَ يَتْبَعُ رسولَ الله ﷺ ماشيًا، ونزلَ رسولُ الله ﷺ بعضَ منازلِه، ونظرَ ناظرٌ من المسلمين فقالَ يا رسولَ الله إنَّ هذا الرجلَ ماشٍ على الطريقِ، فقالَ رسولُ الله ﷺ: "كُنْ أبا ذرٍّ" فلما تأمَّلَه القومُ قالوا: يا رسولَ الله: هو والله أبو ذرٍّ، فقال رسولُ الله ﷺ: «يَرْحَمُ اللَّهُ أَبَا ذَرٍّ، يَمْشِي وَحْدَهُ، وَيَمُوتُ وَحْدَهُ، وَيُبْعَثُ وَحْدَهُ».

(١) رواه البخاريّ الحديث أخرجه الإمام البخاريّ في صحيحه في كتاب التوحيد، باب: {وما تقرّب إليّ عبدي بشيء أحبّ إليّ مما افترضت عليه}.

في قصّةِ هذينِ الصحابيينِ رضي الله عنهما مثالٌ وأيُّ مثالٍ للحاقِ بالصالحين، وعدمِ التخلفِ عن ركبِ المؤمنين، وإنْ عظمتِ الظروفُ وصَعُبَتِ الأحوالُ، وإنْ وُجدتِ الأعذارُ وساغتِ الأسبابُ، فالمسلمُ مأمورٌ بصحبةِ الصالحين، ومرافقتهم، والعملِ بعملِهم، ومجاهدةِ نفسِه على ذلك، فقد قال الله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ، وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ وكان من دعاءِ إبراهيمَ عليه السلام (ربِّ هَبْ لي حكمًا وألحقني بالصالحين) قال المفسرون: لأعملَ عملَهُم في الدنيا، وأكونَ معَهُم في الدارِ الآخرة. وكان من دعاءِ النّبيّ ﷺ: «اللهمَّ تَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ، وَأَحْيِنَا مُسْلِمِينَ، وَأَلْحِقْنَا بِالصَّالِحِينَ غَيْرَ خَزَايَا وَلا مَفْتُونِينَ»[1]..

قصّة مِن حياة النّبيّ ﷺ:

في القرآنِ الكريمِ بعضُ نَماذجِ المُشركينَ الّذين كان النّبيّ ﷺ يُواجِهُهم، يقولُ سبحانَه وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ* لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾[2].

نلاحظُ أنَّ الله سبحانَه وتعالى يَتحدَّثُ عنِ الّذينَ يَدخلونَ مَعَ النّبيّ ﷺ أو معَ المؤمنينَ في جدلٍ حول الآياتِ في مفهومِها الواسعِ، عن وجودِ الله وتوحيدِه، وكلِّ ما يتعلّقُ بالوَحْيِ أو بالآياتِ القُرآنيّةِ الّتي تدلّ على عظَمَةِ الله سبحانَهُ وتَعالى. فالمشكلَةُ عندَ هؤلاء، أنّهم يدخلونَ في جِدالٍ مِن دونِ أيّة حجّة، ﴿بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ﴾[3]، أي مِن دونِ برهانٍ يؤكّدُ فكرتَهم. ولكنَّ الغرورَ والكبرياءَ والتّقليدَ الأعمى الذي وَرِثوه عن آبائهم مِن مُعتقداتٍ خاطِئةٍ رسَخَت في أذهانِهم، أمورٌ تَجعلُهُم يَشعرونَ بأنَّ تنازُلَهم عنها أمامَ الحُجَجِ والبراهينِ الّتي يقدّمُها القرآن إليهم، هو تنازلٌ عَنِ الذّاتِ، وإسقاطٌ لِلعُنفوانِ. ولذلك، يُحاولونَ تغطيةَ هذه الكبرياءِ بالجاهليّة المُتَخلّفَةِ عبر هذا الجدالِ العقيمِ الّذي لا يرتكزُ على حجّةٍ. إن كلَّ إنسانٍ، إذا قُدِّمَتْ إليه الحقيقةُ مُزوَّدَةً بالبراهينِ الّتي تَدعَمُها وَتُؤكّدُها، فإنّه يقتنِعُ بها، ولكنَّ الكِبْرَ يمنعُهُ مِنَ الاعترافِ بها. كما وَرَدَ في قوله تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ﴾[4]، أي إنّهم عاشوا حالةَ اليقينِ مِن خلالِ ما قُدِّم إليهم مِن براهينَ وَحُجَجٍ، ولكنَّهم جَحَدوا بها وَكَذَّبوها بسببِ الكِبْرِ الّذي يُخيّمُ في قلوبِهم.

تأمَّلْ كيف جادَلوه وكيف أمرَه الله تعالى أن يجيبَهم: ﴿وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا* أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا* أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا* أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا﴾[5].

في السّلوك

الإشارة: قال بعض الحكماء: للنّفس سرّ، ظهر على فرعون والنُّمرود، حتّى صرّحا بدعوى الرّبوبيّة، لذلك قالوا: كلّ نفس تبطن ما أظهرته نفس نمرود وفرعون، من قوله تعالى: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾[6] لو أعطي لها المجال.

(١) رواه الإمامُ أحمدُ وغيرُه عن رِفاعَةَ الزُّرَقِيِّ رضي الله عنه. واللحاقُ بالصالحين لا يكونُ إلا لِمَنْ صَحِبَهُمْ في الدنيا؛ فأحبَّهم وعَمِلَ بعملهم رواه البخاريّ.
(٢) سورة غافر، الآيتان: ٥٦-٥٧. (٣) سورة غافر، الآية: ٥٦. (٤) سورة النّمل، الآية: ١٤. (٥) سورة الإسراء، الآيات: ٩٠- ٩٣.
(٦) سورة النازعات، الآية: ٢٤.

في الإعجاز العلميّ

في أشراط السّاعة

دلّت الأحاديث الصّحيحة على أنّ من علامات السّاعة طلوع الشّمس من جهة الغرب، وأنّ ذلك أمارة على غلق باب التّوبة، فعن أبي هريرة ﷺ أنّ رسول الله ﷺ قال: «لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَإِذَا طَلَعَتْ فَرَآهَا النَّاسُ آمَنُوا أَجْمَعُونَ، فَذَلِكَ حِينَ: ﴿لا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ، أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾[1]»[2].

في الأدعية والأذكار

دعاء الدّخول على حاكم ظالم، ذكره الإمام الشّافعي عندما دخل على هارون الرّشيد، وكان قد عزم على قتله:

عن الْفَضْلُ بْنُ الرَّبِيعِ حَاجِبُ هَارُونَ الرَّشِيدِ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى الرَّشِيدِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، فَإِذَا بَيْنَ يَدَيْهِ صِيَارَةُ سُيوفٍ وَأَنْوَاعٌ مِنَ الْعَذَابِ فَقَالَ لِي: يَا فَضْلُ، قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. قَالَ: عَلَيَّ بِهَذَا الْحِجَازِيِّ- يَعْنِي الشَّافِعِيَّ- فَقُلْتُ: إِنَّا لله وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، ذَهَبَ هَذَا الرَّجُلُ. قَالَ: فَأَتَيْتُ الشَّافِعِيَّ، فَقُلْتُ لَهُ: أَجِبْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. فَقَالَ: «أُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ». فَصَلَّى ثمّ رَكِبَ بَغْلَةً كَانَتْ لَهُ، فَصِرْنَا مَعًا إِلَى دَارِ الرَّشِيدِ، فَلَمَّا دَخَلْنَا الدِّهْلِيزَ الْأَوَّلَ حَرَّكَ الشَّافِعِيُّ شَفَتَيْهِ، فَلَمَّا دَخَلْنَا الدِّهْلِيزَ الثَّانِي حَرَّكَ شَفَتَيْهِ، فَلَمَّا وَصَلْنَا بِحَضْرَةِ الرَّشِيدِ قَامَ إِلَيْهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ كَالْمُسْتَرِيبِ لَهُ، فَأَجْلَسَهُ مَوْضِعَهُ وَقَعَدَ بَيْنَ يَدَيْهِ يَعْتَذِرُ إِلَيْهِ وَخَاصَّةُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ إِلَى مَا أَعَدَّ لَهُ مِنْ أَنْوَاعِ الْعَذَابِ، وَإِذَا هُوَ جَالِسٌ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَتَحَدَّثُوا طَوِيلًا ثمّ أَذِنَ لَهُ بِالِانْصِرَافِ. فَقَالَ لِي: يَا فَضْلُ، قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. فَقَالَ: احْمِلْ بَيْنَ يَدَيْهِ بَدْرَةً فَحَمَلْتُ، فَلَمَّا سِرْنَا إِلَى الدِّهْلِيزِ الْأَوَّلِ قُلْتُ: سَأَلْتُكَ بِالَّذِي صَيَّرَ غَضَبَهُ عَلَيْكَ رِضًا إِلَّا مَا عَرَّفْتَنِي مَا قُلْتَ فِي وَجْهِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ حَتَّى رَضِيَ؟ فَقَالَ لِي: «يَا فَضْلُ». قُلْتُ: لَبَّيْكَ أَيُّهَا السَّيِّدُ الْفَقِيهُ، قَالَ: "خُذْ مِنِّي وَاحْفَظْ عَنِّي: ﴿شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾[3]، اللهمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِنُورِ قُدْسِكَ، وَبِبَرَكَةِ طَهَارَتِكَ، وَبِعَظَمَةِ جَلَالِكَ مِنْ كُلِّ عَاهَةٍ وَآفَةٍ وَطَارِقِ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ، إِلَّا طَارِقًا يَطْرُقُ بِخَيْرٍ مِنْكَ يَا رَحْمَنُ. اللهمَّ بِكَ مَلَاذِي قَبْلَ أَنْ أَلُوذَ. وَبِكَ غِيَاثِي قَبْلَ أَنْ أَغُوثَ، يَا مَنْ ذَلَّتْ لَهُ رِقَابُ الْفَرَاعِنَةِ، وَخَضَعَتْ لَهُ مَغَالِيظُ الْجَبَابِرَةِ، ذِكْرُكَ شِعَارِي، وَثَنَاؤُكَ دِثَارِي، أَنَا فِي حِرْزِكَ لَيْلِي وَنَهَارِي، وَنَوْمِي وَقَرَارِي، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، اضْرِبْ عَلَيَّ سُرَادِقَاتِ حِفْظِكَ، وَقِنِي وَأَغْنِنِي بِخَيْرٍ مِنْكَ يَا رَحْمَنُ". قَالَ الْفَضْلُ: فَكَتَبْتُهَا فِي شَرِكَةِ قِبَائِي. وَكَانَ الرَّشِيدُ كَثِيرَ الْغَضَبِ عَلَيَّ فَكَانَ كُلَّمَا هَمَّ أَنْ يَغْضَبَ أُحَرِّكُهَا فِي وَجْهِهِ فَيَرْضَى. فَهَذَا مَا أَدْرَكْتُ مِنْ بَرَكَةِ الشَّافِعِيِّ"[4].

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٥٨.
(٢) رواه البخاريّ في صحيحه، عن أبي هريرة، حديث رقم: ٦٥٠٦، كتاب: الرقاق، باب: طلوع الشمس من مغربها.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٨.
(٤) رواه أبو نعيم في الحلية، عن الفضل بن الربيع، كتاب: ذكر طوائف من جماهير النساك والعباد، باب: ذكر بيان نسبه، ومولده ووفاته.